

هدم أبنية " التراث الحديث " في مشاريع الحفاظ العمراني:

المشروع السياحي الثالث

ملخص

قامت حكومة المملكة الاردنية الهاشمية بالاتفاق مع الدول المانحة بإجراء المشروع السياحي الثالث لتطوير الوسط التراثي لخمس منها السلط، حيث شمل المشروع هدم أبنية حكومية أقيمت في فترة الحداثة في السبعينات من القرن الماضي، وهدم مدرسة مبنية في 1960 وبعض الأبنية التجارية حولها من أجل إقامة ساحات وبعض الخدمات مكانها، مما حدا بالسكان الاحتجاج ضد القرار.

تناقش هذه الورقة أهمية تطوير أواسط المدن التراثية، من خلال استخدام المنهج التحليلي لمعايير الحفاظ عبر المواثيق الدولية المتعارف عليها والنظريات المتعلقة بالتراث الحديث وتتبع نظرياتها وتطورها، ومن خلال استخدام المنهج الإحصائي التحليلي للخروج بنتائج وتوصيات. تدق الورقة ناقوس الخطر حيال أبنية التراث الحديث التي تلقى الإهمال في العالم العربي والتي يجب الحفاظ عليها شأنها شأن الأبنية التراثية المتعارف عليها، وتناولت مفهوم أبنية التراث الحديث، مبينة أحدث ما تم الاتفاق عليه عالميا في تحديد ماهيتها، من خلال وضع القيم المختلفة التي تعطي الأهمية للمواقع والأبنية إضافة إلى البعد التاريخي الزمني لها.

تم إجراء دراسة ميدانية لتبيان أثر المداخلات العمرانية على مركز المدينة التراثي بهدم أبنية الحداثة ومنها المدرسة، وانعكاساتها على سكان المدينة وخدماتهم وتمكينهم الاقتصادي، كما تقيس الدراسة مدى رضى الفئات المتأثرة، وتبيان مقدار مشاركتهم بالقرار.

خلصت الدراسة إلى بعض النتائج والتوصيات، من أهمها الاهتمام بأبنية التراث الحديث كونها ستشكل تراث المستقبل، بناء على القيم والمعاني التي تحملها وأكسبتها أهميتها من خلال الأدوار التي لعبتها أثناء إجراء المداخلات العمرانية للمناطق التراثية بغض النظر عن عمرها الزمني.

كما خلصت الدراسة إلى التحذير من القيام بمشاريع التطوير بهدف التجميل بعيدا عن الحاجة الحقيقية لسكان المدن، واتخاذ القرارات الهامة بعيدا عن مشاركتهم الرأي فيما يمسه بحياتهم اليومية.

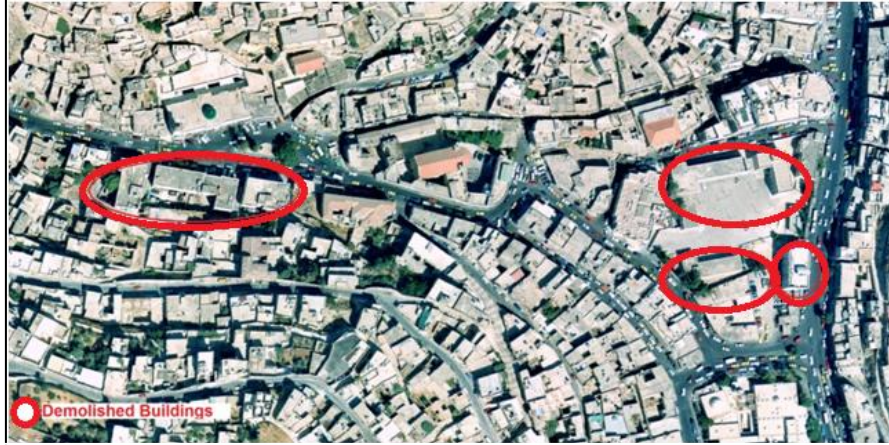
توصي الدراسة بضرورة احتواء فريق الدراسة على خبراء إقتصاديين وإجتماعيين إضافة إلى المخططين والمهندسين لعدم إغفال الجوانب الاجتماعية والاقتصادية لأي مشروع حيث نتج الضرر الاقتصادي ونقص الخدمات.

الكلمات المفتاحية: السلط، المدن العربية، الساحة، الحفاظ العمراني، التراث الثقافي، مراكز المدن التراثية، تخطيط مواقع تراثية، قيمة ودور المكان، ذاكرة المدينة، أبنية التراث الحديث.

1- مقدمة:

يعد المشروع السياحي الثالث أحد أبرز مشاريع الحفاظ المعمارية والحضارية في الأردن التي ظهرت منذ التسعينات، لتطوير مراكز تراثية لخمس مدن أردنية، وهي الكرك، مادبا، السلط، جرش وعجلون. ابتدا العمل عام 2006 وانتهت غالبية المشاريع إلا من قليل. جذب المشروع السياحي الثالث التمويلات الخارجية من المنظمات الدولية عن طريق البنك الدولي، وهو جزء من مجموعة مشاريع اعتمدت على السياحة كرافد للاقتصاد الأردني.

سيتم تناول المشروع السياحي في وسط مدينة السلط إحدى أهم المدن الخمس بالدراسة، حيث تضمن مشروع تطوير وسط مدينة السلط على تطوير منطقتين؛ أحدها إحياء وتأهيل وسط المدينة (ساحة العين)، والذي تضمن تأهيل مسجد السلط الكبير وهدم بعض الأبنية الحكومية، وثانيها تطوير منطقة عقبة بن نافع والذي تضمن هدم مدرسة عقبة وبعض الأبنية التجارية حولها.



أبنية مدرسة عقبة بن نافع الأبنية المهذومة في مركز السلط التراثي الأبنية الحكومية

صورة (1) صورة جوية لوسط المدينة مبينا عليها الأبنية المهذومة في مشروع تطوير وسط مدينة السلط التراثي حيث تظهر على يمين الصورة أبنية مدرسة عقبة وعلى يسار الصورة مع امتداد الشارع الأبنية الحكومية المهذومة-جوجل إيرث

2- هدم بعض الأبنية الحكومية ومدرسة عقبة بن نافع:

رافق تطوير ساحة العين هدم لبعض الأبنية الخدمية والحكومية كمجمع الدوائر الحكومية التي تقع في ساحة العين أمام المسجد الكبير وهي مبنى مديرية التربية والتعليم، مبنى البريد ومبنى المحافظة، من باب أن هذه الأبنية كما رأى أصحاب القرار تسبب مشاكل وازدحامات مرورية في وسط المدينة، كما تسبب في تشويه النسيج العمراني للمنطقة المحيطة بساحة العين. من الملاحظ أن هذه الأبنية الحكومية ذات طابع حديث بنيت في السبعينات وتم هدمها في 2007م ومن ثم تم تصميم ساحة مكان هذه الأبنية.



صورة رقم (2) توضح الأبنية الحكومية في ساحة العين والتي تم هدمها ضمن النسيج الحضري للمدينة

كما رافق ذلك أيضا هدم لمدرسة عقبة بن نافع الذي تم بناؤها في نهاية الخمسينيات على الطراز الحديث المنتشر في تلك الفترة، وليست من الحجر الأصفر المميز للأبنية التراثية في مدينة السلط، وتم ترك مكانها ساحة فارغة تستخدم كمواقف غير منظمة للسيارات في وسط السوق لحين تصميم مناسب لتطوير الساحة.



صورة رقم (3) منطقة مدرسة عقبة بن نافع والمباني المحيطة التي تقرر هدمها - المصدر: بلدية السلط

3- مشكلة البحث:

رافقت عمليات التطوير للمدن التراثية عمليات هدم لبعض أبنية التراث الحديث لأسباب مختلفة يراها أصحاب القرار دونما اعتبار لأهميتها كونها ليست أبنية تراثية قديمة، منها القضاء على الأزمة في وسط المدن التراثي، أو إقامة ساحات و فراغ حضري في مراكز هذه المدن، وغيرها من الأسباب عبر رؤيا يراها أصحاب القرار تبعاً لاحتياجات ذات بعد واحد، ولربما يغفلون عن أبعاد أخرى قد لا يظهر بعضها إلا بعد هدم هذه الأبنية، خاصة إذا كانت هذه الأبنية تحمل أبعاداً مختلفة ولها أهمية وظيفية وقيم مختلفة عدا القيمة التاريخية، وبالتالي فقد قامت الدراسات ومنها هذه الدراسة لتقصي أثر هدم هذه الأبنية على المدن والمجتمعات المحلية.

تبحث هذه الدراسة في أثر هدم أبنية التراث الحديث الموجودة في وسط المدن التراثية أثناء عمليات التدخل العمراني ضمن مشاريع التطوير المنتشرة في مراكز المدن التراثية - وتحديداً مدرسة عقبة بن نافع كأ نموذج - ضمن مشروع تطوير وسط مدينة السلط التراثي، وبيان أثر الهدم على المجتمع المحلي من الناحية الاجتماعية والاقتصادية والوظيفية.

وتستقصي الدراسة أهمية وقيمة أبنية التراث الحديث كمنى المدرسة وأهمية الحفاظ عليها، عبر دراسة أهميتها وقيمتها لدى سكان المدينة، عن طريق إلقاء الضوء على الأدوار التي لعبتها المدرسه بالنسبة لسكان المدينة عبر فترة وجودها لخمسين عام من 1960-2007. كما تستقصي الدراسة مدى الرضى الشعبي عن المشروع وهدم المدرسة والأبنية الحكومية.

4- منهجية البحث:

تقوم الدراسة بتقصي آثار هدم المدرسة على الناس عبر دراسة لأهميتها وقيمتها لدى أهالي مدينة السلط استخدمت المنهج التحليلي بدراسة النظريات المرتبطة بتوضيح مفهوم التراث الحديث والمعاني والقيم الثقافية والاجتماعية التي يحملها المبنى لدى أهالي مدينة السلط، والدور الاقتصادي الذي كانت تلعبه، وذلك من خلال 150 إستبانه و50 مقابلة، وزيارات عديدة للموقع ومناقشة الأهالي والمستخدمين وأصحاب العلاقة، وللاستشهاد أيضاً فقد تم وضع منشور على إحدى صفحات الفيس بوك الخاص بالمدينة وسؤال الناس حول رأيهم بهدم المدرسة، حيث أتت النتائج والتعليقات مؤيدة لما تم استخراجه من إحصاءات للاستبانة.

كما تتطرق الدراسة عبر المنهج الإحصائي ببيان تأثير الهدم على القوة الشرائية للمحال التجارية في المنطقة واستكمال الخدمات الوظيفية عبر دراسة إحصائية للتجار والسكان والمارة.

وتقيس الدراسة مقدار الرضى الشعبي ومقدار المشاركة الشعبية لهذا المشروع الحساس عبر الدراسة الإحصائية أيضاً.

5- نظريات "التراث الحديث" وتطور النظرة الى أبنية العمارة الحديثة:

لفترة طويلة كان مقياس أهمية البناء ووجوب الحفاظ عليه ومنع هدمه عائد الى عامل الزمن، فكلما قدم المبنى كلما زادت قيمته الثقافية، لكن اليوم ومع تطور نظريات الحفاظ فلم يعد عامل الزمن هو العامل الوحيد الذي يعطي للأبنية والمواقع قيمتها التراثية وبناء عليه يعطى الأهمية في الحفاظ ومنع الهدم¹.

ينتقد البرفسور جودي لوتش عميد كلية البحث والدراسات العليا في جامعة كارديف الإهمال بالتعامل مع الأبنية الحديثة والذي سيقود بالضبط الى ما جرى من إهمال للأبنية التراثية، ويحذر من لوم أنفسنا لعدم اهتمامنا بها وقتها².

¹ البرفسور ثيودور برودون في كتابه الحفاظ على العمارة الحديثة، (Preservation of Modern Architecture)

5-1 مدرسة التراث الحديث:

تم تأسيس منظمة ال DOCOMOMO³ عام 1988 من قبل المعماريين الهولنديين هيوبرت هينكيت وويسل إيندهوفن للعناية بما يسمى تراث العمارة الحديثة، حيث تحولت الى حركة دولية ترأسها إيندهوفن كأمين عام. وتم تأسيس مؤتمر دولي يعقد كل سنتين حيث يتلاقى المهتمون بالحفاظ من كل العالم لتبادل المعارف والآراء.

5-2 برنامج التراث الحديث:

قام كل من مركز التراث العالمي لليونسكو والمجلس العالمي للأثار والمواقع ICOMOS والمركز العامل للتوثيق والحفاظ على المباني والمجاورات للحركة الحديثة DOCOMOMO في عام 2001 بتأسيس برنامج مشترك تتلخص أهم أهدافه في التعريف والتوثيق والتعهد بالحفاظ على تراث القرنين التاسع عشر والعشرين تحت مسمى "برنامج التراث الحديث" Program of Modern Heritage. ومن ثم توالت اللقاءات والاجتماعات الإقليمية للتراث الحديث، وتوالت المنظمات العالمية والمؤسسات والاكاديميا للاهتمام به وعقدت المؤتمرات الدولية وفي مختلف القارات للخروج بمواثيق وتوصيات للحفاظ على التراث الحديث.

5-3 أهم بنود وتوصيات المؤتمرات الدولية المتعلقة بالتراث الحديث⁴:

- 1- تم الاتفاق على أن الأبنية الحديثة لها من الأهمية كالأبنية التاريخية، وتكمن أهميتها بناء على عوامل عديدة تحدد قيمتها ورمزيتها لجوانب اجتماعية، ثقافية، سياسية إنشائية وغيرها، وذلك بغض النظر عن حداثتها.
- 2- تطوير خطة لكيفية التعامل مع تراث القرنين التاسع عشر والعشرين، وتوثيق هذا التراث.
- 3- تم الاتفاق على كيفية تحديد وحماية والحفاظ على المباني والمواقع المبنية خلال العقدين الأخيرين.
- 4- تم الاتفاق على إنشاء إطار فكري واضح لتجديد هذا التراث.
- 5- تم اصدار قرارات تمنع الهدم للأبنية ذات القيمة والتي ترجع للفترة الحديثة بغض النظر عن حداثتها.
- 6- إن اختلاف الرمزية او التصنيف لا يلغي كونها منتجات وتعبير مادي عن الحضارات المتعاقبة والتي توافدت على المدن يتم الاعتراف بها كإرث قومي ولو عبرت عن ثقافة الآخر.
- 7- هذه الأبنية تمثل جزءا هاما من الفراغ العمراني أو بؤرا معمارية بصرية تعرف هذا الفراغ وترتبط بالذاكرة الجمعية للأماكن لتبقى أبنية ذات قيمة، وهذا يقودنا الى تأكيد ما ذكره رستن (Ruskin, 1989) ان المدينة ما هي إلا تراكم تاريخي لحضارات مختلفة تتعاقب بالزمان وتمثل تراكم حقبات زمنية متعددة لكل منها ادواق مختلفة.

5-4 وبالتالي يمكن إجمال أهمية أبنية التراث الحديث في تمثيلها ما يلي:

- تمثل هذه الأبنية للتراث للفترة القادمة.
- تمثل هذه الأبنية جزء من تاريخ هذه المدينة وللحقبات المعمارية والسياسية التي مرت عليها، كما أنها تمثل جزءا ماديا للتعبير عن الحضارات المتعاقبة ولو عبرت عن ثقافة الآخر.
- هذه الأبنية تمثل جزءا هاما من الفراغ العمراني أو بؤر معمارية بصرية تعرف هذا الفراغ وترتبط بالذاكرة الجمعية للأماكن لتبقى أبنية ذات قيمة.
- تطوّر تطبيقات ومعايير الحفاظ على التراث الحديث: ومن ثم توالى الاهتمام فلم تعد النظرة للأبنية الحديثة ضمن التساؤل فيما إذا كان التراث الحديث بحاجة الى حفاظ أم لا، حيث عقدت مؤتمرات للمبادرات وللحفاظ على التراث الحديث، منها المؤتمر المنعقد في 2012 من قبل مؤسسة Getty للحفاظ (GCI) وتناول المؤتمر محاور عديدة للخروج بتوجهات تطبيقية لنظريات الحفاظ على التراث الحديث⁵، وأصدرت أعداد ومجلات متخصصة في الحفاظ على التراث الحديث من مختلف المفكرين والكتاب حول كيفية واهمية الحفاظ على التراث الحديث⁶.

² <http://www.walesonline.co.uk/news/wales-news/protect-modern-buildings-2094815>

³ مركز DOCOMOMO هو مركز توثيق وحفاظ المباني والمجاورات للحركة الحديثة، وهو الجهة الدولية العاملة على توثيق وحفظ الأبنية والمواقع والأحياء لحركة الحداثة: DOCOMOMO: International Working Party for Documentation and Conservation of Buildings, Sites and Neighborhoods of the Modern Movement http://translate.google.io/translate?hl=ar&sl=en&u=http://en.wikipedia.org/wiki/Docomomo_International&prev=/search%3Fq%3Ddocomomo%26biw%3D1024%26bih%3D499

⁴ د جلييلة القاضي مديرة ابحاث معهد التنمية الفرنسي- "مدن وأحياء نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين في جنوب حوض البحر المتوسط: تراث لمن ولماذا؟"، 2006، في المؤتمر الرابع لهيئة المعماريين العرب: حلب بين التراث والمعاصرة، 14-16/2006، ص 137.

⁵ Normandin, Kyle, and Susan Macdonald, "A Colloquium to Advance the Practice of Conserving Modern Heritage", The Getty Center, Los Angeles, California, March 6-7, 2013.

⁶ CONSERVATION PERSPECTIVES, Conserving Modern Architecture, THE GCI NEWSLETTER, volume 28 • number 1 • spring 2013.

6- من النظريات المتعلقة بالحفاظ:

1-6 هدم الأبنية وأثره على مفهوم ذاكرة المدينة:

يرى رسكن (Ruskin, 1989) ان المدينة تراكم تاريخي لحضارات مختلفة تتعاقب بالزمان وتمثل تراكم حقبات زمنية متعددة لكل منها ادواق مختلفة، ودعا الى رفض اساليب الترميم الهادفة الى توحيد او تعميم طابع معماري، وحارب اساليب الحفاظ الداعية الى وحدة الطراز Unit of Style بحيث يتم الحفاظ على طراز احد الحقبات وتهمل الطرز الباقية. واهتم Lynch بالصورة الانطباعية المتكونة في ذهن الانسان نتيجة معايشته للمدينة او اجزائها والمعالم المهمة فيها (Landmark) لفترات طويلة، وبخاصة نشاطات الناس وتفاعلهم الحسي والنوعية المرئية في المدينة والتي تتفاعل من خلال الذكريات والمعاني التي تحملها المدينة وفراغاتها الحضرية، وبأنها تحمل نفس أهمية العناصر الحسية. (Lynch, 1960). فعملية الهدم للأبنية ذات الطابع الحديث في مركز المدينة التراثي ما هي الا عملية اقتطاع لجزء من تاريخ المدينة ومعاصرتها وعدم احترام لذاكرة المدينة ولا لتعدد المدارس المعمارية فيها (ابو الهيجا، 2011). وتؤكد الدراسات ان عبقرية المكان (Genius Loci) احد اهم المنطلقات في الحفاظ على التراث، حيث لكل مكان هوية خاصة تحدد جوانب ثقافية واجتماعية واقتصادية وجمالية⁷.

2-6 تمكين وسط المدينة التراثي والمشاركة الشعبية:

ولا بد عند الحديث عن أي عملية حفاظ على المناطق التاريخية ومراكز المدن التراثية، من الاهتمام بالتمكين الاقتصادي لسكان وقاطني هذه المناطق ليتمكنوا من الحفاظ على هذه الابنية، عبر تعزيز الوضع الاقتصادي وتوفير فرص عمل، والحفاظ على اشغال هذه الأبنية التراثية واستمراريتها كما ذكر ذلك Tiesdell وآخرون. أما عن أهمية المشاركة الشعبية للسكان، فهو موضوع تم استقصاؤه في مباحث متعددة (خرقان، لونا، وبسمة المومني، 2011). فمشاركة السكان هي امر مهم لاي مشروع من اجل التأكيد على ملكية المشروع المحلية وتعاون السكان وتحقيق التنمية المستدامة. فتؤكد الباحثة فاطمة النمري (النمري، 2003) على أهمية رفع درجة الوعي ومشاركة السكان في اتخاذ القرار لتحفيزهم على الحفاظ وليكونوا جزءا منه مع بناء قدراتهم بالتدريب، وهذا مما يؤدي الى فائدة حقيقية من مشاريع الحفاظ للسكان عوضا عن كونها مجرد عمليات تجميل. وتؤكد سلسلة ابحاث مركز جيتي ان مشاركة السكان هي احد اهم الوسائل للوصول الى معرفة قيمة المكان- لكل مكان قيمة او مجموعة من القيم لايد من ادراكها بحيث تكون هي محور عملية الحفاظ. وتؤكد عدد من الدراسات أهمية المشاركة المحلية في مشاريع الحفاظ التراثي المرتبطة بالتنمية- وخصوصا في دول العالم النامية، حيث تكون السياحة التراثية احد موارد الدولة الاساسية. فتؤكد ان تحقيق التنمية المستدامة لا يكون الا بمشاركة المجتمع المحلي في التخطيط والتنفيذ لمشاريع الحفاظ السياحة التراثية⁸.

3-6 قيمة ودور المكان:

كانت وثيقة بورا 1979 كانت هي الأولى من بين وثائق الامم المتحدة التي ناقشت مفهوم المكان وقيمه في المواقع التاريخية بعمق بحيث أدخلت تطبيق انواع القيم الثقافية المختلفة الى مفهوم الحفاظ، كما أدخلت مفهوم المشاركة الشعبية.

وقد تطور مفهوم القيمة عبر تطور الفكر الانساني بحيث يتجاوز القيمة التاريخية او الفنية ويتضمن قيما اجتماعية وثقافية وغيرها (Zanchet, 1997).

7- مدرسة عقبة بن نافع:

1-7 الموقع:

بُنيت مدرسة عقبة بمنطقة جبوية جدا في وسط مدينة السلط على أرض مساحتها 7 دونمات في نهاية الخمسينات، وبدأ العمل بالتدريس بها في بداية الستينات.

تقع المدرسة والأبنية المحيطة بها المنوي هدمها في وسط المدينة التراثي على أربعة شوارع، منها شارع الميدان الرئيسي للمدينة والقادم من العاصمة عمان والشوارع الأخرى في وسط المدينة التراثي، كما تقع على امتداد ساحة العين ومتحف أبو جابر التراثي، وبلاصقها المسجد الصغير العثماني الواقع في شارع الحمام العثماني، وتقابل المركز الثقافي في مدينة السلط.

وبما أن مدرسة عقبة بن نافع هي المدرسة الوحيدة الواقعة في وسط البلد فقد كانت تقوم على خدمة جميع الأحياء السكنية المختلفة الواقعة على الجبال المحيطة، ويلبي موقعها حاجة السكان نظرا لمركزيته وسهولة الوصول اليه سواء مشيا على الاقدام أو من خلال خطوط الباصات في مختلف الاتجاهات.

2-7 مبنى وساحات المدرسة:

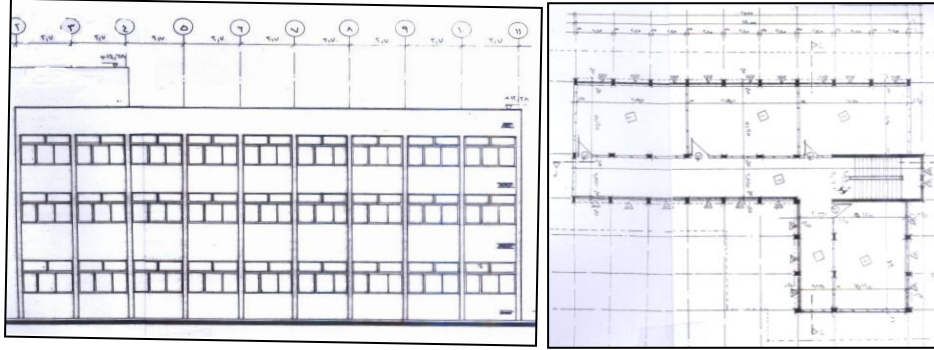
⁷http://www.depts.ttu.edu/museum/CFASWebsite/H7000%20folder/Readings%20Heritage%20Tourism%202010/H%20Planning_Urban_tourism_conservation_Nasser%202003.pdf

⁸http://www.depts.ttu.edu/Museum/CFASWebsite/H7000%20folder/Readings%20Heritage%20Tourism%202010/H%20tourism_local%20econ_Hampton%202005.pdf

وقد توسعت المدرسة على مراحل حتى أصبحت ممتدة على ثلاثة طوابق تحوي 29 غرفة صفية، وملاعب وساحات بمساحة 350 م² تغطي حاجة 1100 طالب⁹، بالإضافة إلى أهم الأبنية التي تعني المجتمع المحلي وهو المسرح والذي اعتبر الأول والوحيد في المدينة لفترة قريبة، وقد حلت ساحات المدرسة بموقعها المركزي مكان الملاعب للشباب المدينة حيث كانت تعقد فيها كافة مباريات المدارس والتدريب لكافة شباب السلط بغض النظر عن موقع مدرستهم.



صورة (6) أبنية مدرسة عقبة بن نافع قبل الهدم ويظهر بناء المسجد الصغير التراثي من واجهته الخلفية على يمين المدرسة



صورة (7) مخطط وواجهة لأحد أبنية المدرسة ويبدو طابع العمارة الحديثة

3-7 اللغة المعمارية:

مثلت اللغة المعمارية التي بنيت بها المدرسة حقيقتها الزمنية في الخمسينات والستينات حيث انتشر نمط العمارة الحديثة في الأبنية، فكان البناء حجرا أبيضاً مبنياً بالخرسانة، ذا فتحات مستطيلة أفقية، وبروزات تظهر نظامه الإنشائي "المودبول الهندسي" عبر بروز الأعمدة والعقدات عن جدران البناء كما يظهر بصورة رقم (8)، فكان باختصار مبنى مدرسياً معبراً عن فترته ولغته المعمارية بكل وضوح.

4-7 أهمية المدرسة:

1-4-7 وظيفياً:

بما أن المدرسة تقع في وسط البلد وهي مدرسة أساسية، فقد كانت أهميتها أنها تخدم جزءاً كبيراً من أهل السلط ومن مختلف الأحياء بسهولة الوصول إليها سواء مشياً أو باستخدام المواصلات التي تصب في وسط البلد مباشرة، وقد قامت مديرية التربية والتعليم بمحاولة لتوزيع الطلبة على المدارس الأخرى حسب مكان السكن، إلا أن هذا التوزيع تم نظرياً، بينما على أرض الواقع كانت فيه مشاكل كثيرة أثرت على رضى الناس¹⁰.

2-4-7 اجتماعياً:

لمدرسة عقبة بن نافع أهمية خاصة لدى أهل السلط عموماً، حيث أن ساحاتها كانت هي الملعب الشهير لكل شباب السلط الذين أقاموا فيها مباريات كرة القدم "الفطيل" ووجدوا فيها مبتغاهم بديلاً عن الحدائق والملاعب، ولها من الذكريات الهامة المحفورة في قلوب السلطيين، فقد كانت ساحاتها ومسرحها الوحيد تشهد دائماً الأحداث الهامة في مدينة السلط بكل مستوياتها، فقد كان جلاله المغفور له بإذن الله الملك الحسين بن طلال يتخذ ساحاتها مكاناً جماهيرياً ليلقي خطبه على أهل السلط منها مطلاً عليهم من نافذة إدارتها، كما كانت ساحاتها مكاناً يشهد الأحداث الفنية والحفلات الغنائية، وكان بها أول مسرح في السلط شهد استقبال عبده موسى وسميرة توفيق وغيرهم¹¹.

8- الدراسة الميدانية:

شملت الدراسة الميدانية استبانات ومقابلات شملت أهل العلاقة سواء من التجار أو السكان.

⁹ تقرير من وزارة التربية والتعليم سنة 2007.

¹⁰ مقابلة مع آخر مدير للمدرسة د. عبدالإله الجعبر، أيلول 2013

¹¹ في مقابلة مع م. إبراهيم أمين الكيلاني، حزيران 2013

1-8 الاستبانة: قام البحث بإجراء دراسة ميدانية على مجموعة من اصحاب المحال التجارية المجاورين لمدرسة عقبة بن نافع والمارين في الشوارع المحيطة بالمدرسة والسكان عبر استبانة تناولت مايلي:

- **المعلومات العامة:** عنهم وعن درجة تعليمهم، نوعية التجارة في المحال التجارية، هل هم من الملاك ام الموظفين، منذ متى وهم في العمل، وهل غيروا نوعية البيع ومتى، هل هم من سكان مدينة السلط، علاقتهم بمدرسة عقبة بن نافع فيما اذا درسوا بها أم شاركوا بنشاطاتها ام لا علاقة لهم بها¹².
- **رأي التجار بهدم المدرسة:** أثر الهدم على الحركة التجارية والقوة الشرائية لمحالهم التجارية.
- **رأي الأهالي بهدم المدرسة:** أثر الهدم على الأهالي.
- **رأيهم بمشروع التطوير:** ككل وإقامة الساحات، رضاهم عنه وعن هدم الأبنية الحكومية.
- **أهمية المدرسة لسكان المدينة:** وعن علاقتهم بها سواء لأولادهم أو لهم شخصيا.

2-8 المقابلات:

قامت الدراسة بعمل العديد من المقابلات مع اهل السلط¹³ والتي كشفت بوضوح عن أهمية هذه المدرسة وقيمتها العالية بالنسبة للسكان والمجتمع المحلي، كما قامت الدراسة بعمل مقابلات مع آخر مدير للمدرسة وموظفين من مديرية التربية والتعليم وخريجين سابقين من المدرسة.

9- نتائج الدراسة:

9-1 مبنى مدرسة عقبة بن نافع هو من أهم أبنية التراث الحديث المرتبط بذاكرة مدينة السلط:

- نظرا للحقبة الزمنية التي بني فيها المبنى وهي حقبة الحداثة في بداية الستينات، ونظرا للغة المعمارية التي يحملها المبنى والتي تجسد فترة الحداثة، ومن خلال فهم الأدوار التي لعبتها مدرسة عقبة بن نافع وأهميتها للسكان، فقد تبين جليا أن قيمة المبنى تتعدى قيمة البناء المدرسي حيث تتجلى فيه قيم ثقافية واجتماعية ووظيفية مما يجعله من أهم أبنية التراث الحديث ذات القيم المتعددة في وسط مدينة السلط، ومعلما هاما مرتبطا بالذاكرة الجمعية للسكان في وسط المدينة.
- إن عملية هدم مبنى يحمل هذه القيم إنما يعبر عن عدم احترام الحقب التاريخية للمدينة، ويمحو ذاكرة المدينة وطمس المعالم ومرآح التاريخ المختلفة فيها، خاصة أن هدمه جاء ضمن سلسلة من هدم أبنية الحداثة في وسط المدينة التراثي.

9-2 الارتباط العاطفي (القيمة الوجدانية):

كثيرا ما وردت مصطلحات أثناء المقابلات مع أهالي السلط فيها الكثير من الحنين والعاطفه المقرونة بالاحساس العميق بالخسارة للمدرسة، فقد ورد وصف المدرسة وتشبيهها بكلمة "الأم" عدة مرات، كما وردت كلمة "مثل بيتي" أو كأنهم هدوا بيتي"، أحدهم وصفها "ببيت الجد"، بالإضافة الى التكرار الشديد الى جملة "تدمير مش تطوير" وكانها اصبحت كلمة متعارفة عند أهل السلط، وغيرها من الكلمات المعبرة عن مدى الخسارة من جراء هدم المدرسة التي عنت الكثير للعديد من معظم أهالي السلط في فترة صباهم، فمن لم يدرس بها كان قد لعب بساحاتها أو اشترك بالنشاطات فيها، وبالتالي فهي تمثل حقبة من مرحلة الشباب لسكان أهل السلط، ولذا كانت نسبة الرفض بالاستبانة لهدم المدرسة تبلغ 100% لمن درسوا بها او لهم أي نوع من أنواع العلاقة بها، بينما بلغت 82% من مجموع العينة ككل، مع ملاحظة أن ال 18% من العينة الذين اعتبروا أن هدم المدرسة كان جيدا بسبب توفير مواقف سيارات بدلا منها لوسط البلد، وهم من التجار ومن الفئة التي لا علاقة لها بالمدرسة أبدا.

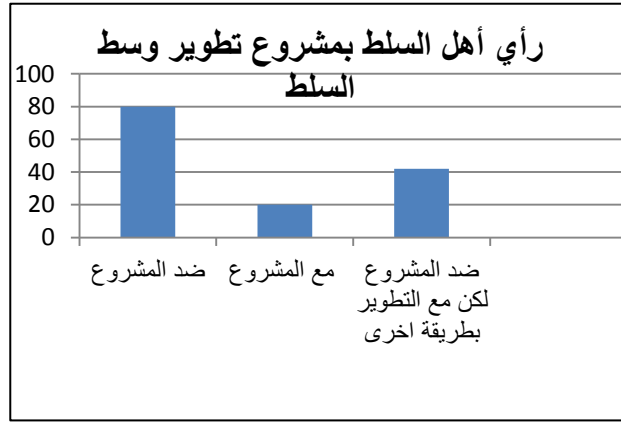
9-3 أثر هدم المدرسة على المجتمع المحلي في السلط:

- على السكان:

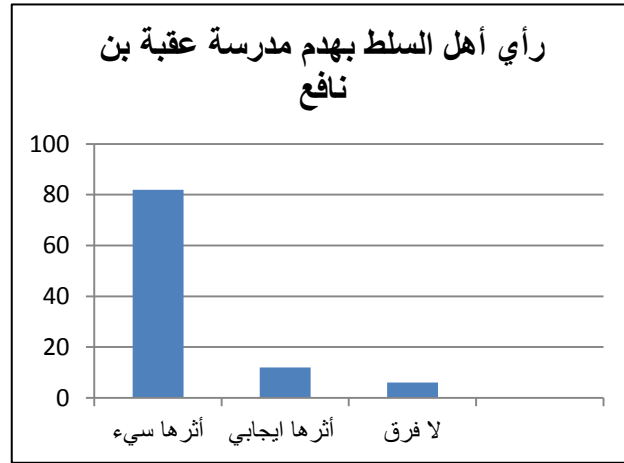
- عبر أهالي مدينة السلط بنسبة 80% من العينة التي تم استفتاؤها عن عدم رضاهم عن مشروع التطوير ككل، فالساحات غير ملائمة رغم أن فكرتها جيدة، إلا أنها أصبحت مكانا للشباب السيئ "اللهل والزعران"، ولا تتناسب مع طبيعة أهل السلط المحافظين.
- 42% من العينة أكدوا أنهم مع التطوير، لكنهم يتمنون تطورا حقيقيا يتناسب مع المدينة وسكانها ويحل مشاكلها، وقد تكرر مصطلح عدة مرات بوضوح: وهو أن ما جرى ليس تطوير وإنما "تدمير" كما أفاد العديد من السكان. أنظر رسم بياني (1)
- أهالي الطلبة: وقد عبر السكان وأهالي الطلبة بكل استنكار لرفضهم هدم المدرسة كون المدرسة بنسبة 80% من العينة المستفتاة، كون المدرسة تشكل جزءا رئيسيا من شبابهم وذكرياتهم، سواء درسوا بها أو لعبوا بها مباريات كرة القدم "الفطبل"، إضافة إلى حاجة المنطقة الماسة لها والتي لم يوجد أي بديل يسد مكانها. رسم بياني (2)
- أفاد بما نسبته 72% من أهالي الطلبة أن عملية هدم مدرسة عقبة بن نافع قد أثرت على السكان بالمناطق المحيطة سلبا حيث أن موقع المدرسة المركزي في وسط المدينة ناسب جميع سكان الجبال والمناطق المحيطة لسهولة الوصول لها مشيا على الاقدام، إلا أن عدم توفر بدائل للمدرسة في المناطق المحيطة قد دعا الأهالي الى تسجيل أبنائهم في مدارس الجبال المحيطة مع استخدام المواصلات، ومن خلال عدة مقابلات أجريت مع الأهالي فضل بعضهم لصعوبة المواصلات اللجوء الى المدارس الخاصة في نفس منطقته السكنية لعدم توفر مدارس بديلة، وفي كلتا الحالتين فالنتيجة تكلفة اقتصادية اضافية على السكان رسم بياني (3).

¹² انظر الملحق رقم 1 "استبانة التجار"

¹³ 150 استبانة للتجار والمارة وخمسون مقابلة مع أهالي مدينة السلط القريبيين من الساحة والمدرسة.

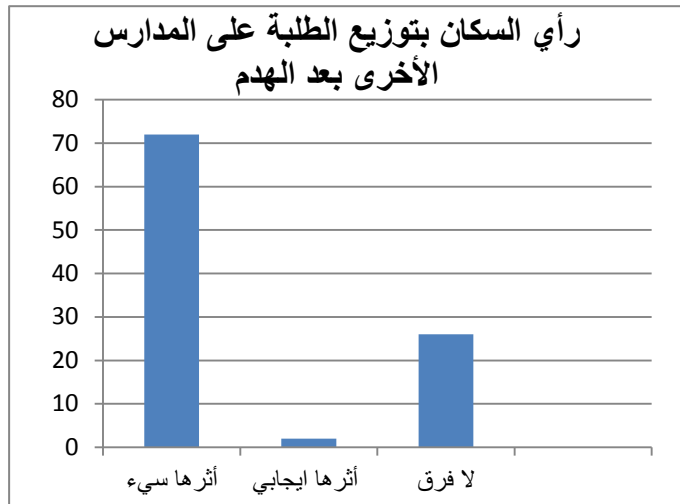


رسم بياني (1) رأي أهل السلط بمشروع التطوير



رسم بياني (2) رأي أهل السلط بهدم المدرسة

وفي مقابلة مع مسؤولين في التربية تم تأكيد عمل دراسة لاستيعاب الطلبة في المدارس المحيطة، إلا أن ضيق هذه المدارس وعدم قدرتها على الاستيعاب وعدم تغطيتها لحاجة الأهالي قد قلل من القدرة الفعلية لهذه الخطة¹⁴.

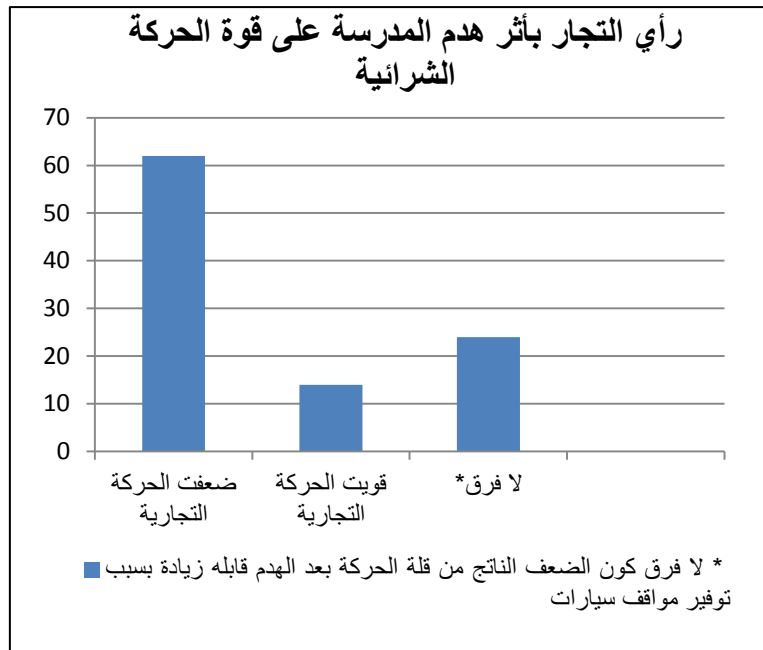


رسم بياني (3) رأي السكان بتوزيع الطلبة على المدارس الأخرى بعد الهدم

¹⁴ مقابلة مع مدير المدرسة السابق د عبدالإله الجعير، 2013.

- على أصحاب المحال التجارية:

- الغالبية العظمى ضد الهدم بنسبة 62%، لأنه قلل من الحركة التجارية، حيث أن حركة أكثر من ألف طالب يؤدي إلى حركة تجارية في السوق المجاور، وبعد الهدم اضطر بعضهم لتغيير نوعية البيع لعدم ملاءمته للوضع الجديد.
- البعض الآخر الذي وافق على الهدم وهم قلة بنسبة 14% وجد إيجابية في الهدم ذلك أن الزبائن أصبح بإمكانها الاصطفاف بالساحة مكان المدرسة والشراء بحرية، لكنهم يؤكدون أن الأفضل هو إيجاد مواقف للسيارات دون هدم المدرسة.
- ملاحظة: أن جميع من وافق على هدم المدرسة هم ممن لم يكن لديهم أي ارتباط بالمدرسة لا من ناحية الدراسة بها أو استخدام مرافقها وساحاتها.
- لم يتأثر حوالي 24% بعملية الهدم سلباً أو إيجاباً والأمر بالنسبة لهم سياتي.
- تم وعد العديد من أصحاب المحال التي تم هدمها أو لا زالت بانتظار القرار بالهدم بالتعويض بمحال تجارية جديدة بالمبنى الاستثماري المنوي بناؤه مكان المدرسة، إلا أن الوعد لم يتحقق حيث بقي موقع المدرسة ساحة فارغة شهدت أنواعاً مختلفة من الممارسات غير الصحية بيئياً واجتماعياً، واستغلت كساحة لتفتتد التنظيم كمواقف للسيارات وبسطات لبيع الخضار وتجمع ليلي للسكري دون أي تدخل من البلدية.
- لا زالت هناك مشاكل معلقة لم تحل بين التجار الذين لا زالت محلاتهم بانتظار الهدم وبين البلدية، حيث قامت عدة اعتصامات واحتجاجات¹⁵ من قبلهم كون التعويضات غير ملائمة ولا تساوي خسارتهم لمواقع محلاتهم وبعضها مقام منذ الستينات، خاصة أن التعويضات تذهب بنسبتها الكبرى إلى ملاك المحال لا مستأجرينها والعاملين بها.



رسم بياني (4) رأي التجار بأثر هدم المدرسة على الحركة التجارية

4-9 غياب مبدأ التشاركية مع المجتمع المحلي:

اتضح من خلال الدراسة والاستبيانات أن نسبة 100% من العينة المستفتاة لم تعلم بالمشروع قبل تنفيذه وأنه لم يتم أخذ رأيهم به قبل الإجراء به، مما يطرح موضوع المشاركة الشعبية في عملية أخذ القرار بالمشروع وإجراء الهدم مما يؤثر جلياً على مقدار الرضى الشعبي للعملية، ويتضح أن رضى السكان والناس لم يكن هدفاً.

10- النتائج والتوصيات:

- من أهم النتائج التي خلصت لها هذه الدراسة أن مشروع تطوير عقبة بن نافع لم يلبي حاجات السكان وأولوياتهم، حيث كانت مواقف السيارات من أهم أولويات السكان، وكانت الساحة مصفاً للسيارات قبل البدء بأعمال المشروع بسبب مركزية موقعها، ورغم وجودها كانت لا زالت مشكلة عدم وجود أماكن اصطفاف موجودة، وكانت تتسع ما بين 400-500 سيارة، بينما المشروع الحالي يوفر 170 سيارة فقط، أي أن المشروع لم يراع ولم يلبي حاجات السكان الرئيسية ومتطلباتهم في مشاريع التطوير.
- أن هدم المدرسة قد أثر سلباً على حركة السوق المالية حول المدرسة، وهذا يخالف معايير الحفاظ في المواثيق بضرورة تقوية ودعم المراكز التراثية من أجل الحفاظ مستداماً.

¹⁵ موقع من النت عن الصحف والاحتجاجات... الخ

- إن مدرسة عقبة بن نافع مبنى يعبر عن فترته وحقبته المعمارية (حقبة الحداثة)، لها قيمة عالية عند السكان، ليس لتمييزها المعماري، وإنما تتبع قيمتها من أداء المبنى الوظيفي والاجتماعي، وارتباطه العاطفي والتاريخي والاجتماعي للمجتمع المحلي، مما يعطي للمبنى قيمة عالية رغم عدم تميزه المعماري، يستحق لأجلها من اعتباره من أبنية التراث الحديث استحق الحفاظ عليه بدلا من هدمه.
- تعاني مدنا من عمليات التطوير لمراكزها التراثية التي تعنى بالدرجة الأولى بعمليات التجميل بعيدا عن الحاجات الرئيسية لأهالي هذه المدن ورغباتهم وتمكينهم الاقتصادي في مراكزها التراثية، كما ورد في العديد من الدراسات السابقة وأكدها هذا البحث.
- تتم عمليات التجميل عبر إقامة الساحات وتأثيرها والتبليط وتنظيف الحجر، بعيدا عن الحاجات الاجتماعية والوظيفية والاقتصادية للسكان.
- إن عملية هدم الأبنية الحديثة لهي من أهم مظاهر عمليات التطوير في مدينة السلط، ومنها ما يعتبر من أهم أبنية التراث الحديث التي لا يلقى لها بالا في مدن العالم العربي، وللأسف فإن التشريعات لا تطالها بحمايتها كشأن الأبنية التراثية التقليدية.
- إن عملية الهدم لأبنية بحالة إنشائية جيدة وبمواقع غير مسببة للأذى في وسط المدن لهي عملية غير مستدامة، كان من الممكن إعادة استخدام هذه الأبنية مع تطوير الموقع حولها لتناسب مع عمليات التطوير دون الهدم.
- أثرت عملية هدم أبنية التراث الحديث بصورة سلبية على ذاكرة المدن والمكان التي عايشها أهل هذه المدن خلال فترة تفاعلهم مع هذه الأبنية طوال فترة وجودها.
- إن أبنية التراث الحديث لهي جزء من تاريخ المدن وتعبر عن فترة الحداثة التي مرت على المدن وتركت بصماتها وآثارها فيها، وإن عملية هدمها ما هي إلا عملية إجتزاء للتاريخ وتمزيق بعض صفحاته التي مرت على هذه المدن.
- هذه الأبنية التي حافظت على نفسها بالبقاء لمدة تزيد عن الخمسين عاما لهي أبنية تستحق العناية والاهتمام بها.
- من أهم مشاكل عمليات الحفاظ في مدن العالم العربي أن عمليات الحفاظ تجرى على أجزاء أو مواقع تراثية بشكل فردي دون أن يكون ضمن خطة ودراسة هيكلية للمواقع كامله، ودونما دراسة لتقييم الأثر على المجتمع المحلي، ومن مختلف النواحي الاقتصادي والثقافي والاجتماعي وغيرها.
- المشاركة الشعبية في اتخاذ القرار من اهم عوامل نجاح أي مشروع يتعلق بالمدينة لأن المشاريع حينها تكون موجهة لخدمة الناس وتجد من يدافع عنها بدل الاحتجاجات المستمرة والاعاقات من قبل السكان.
- لا زال في الاردن وفي عالما العربي ينقصنا تشريعات حامية للتراث وبالأخص التراث الحديث.

11- المراجع:

- 1- تقرير: "مشاريع التطوير السياحي- الانجازات"، 2004، وزارة السياحة والآثار.
- 2- مشروع تطوير وسط مدينة السلط التراثي، 2006، منشورات بلدية السلط.
- 3- مقابلة مع مدير المدرسة السابق د عبدالإله الجغبير، أيلول 2013.
- 4- موقع من النت من الجرائد عن الاحتجاجات
- 5- عبر عدة مقابلات أجريت مع السكان ممن نقلوا طلبتهم من مدرسة عقبة الى مدرس أخرى بعد الهدم.
- 6- في مقابلة مع م. إبراهيم أمين زيد، حزيران 2013.
- 7- مقابلة مع فضيلة مفتي السلط الشيخ أمين زيد الكيلاني مواليد 1926.
- 8- مقابلة مع المرحومة الحاجة نعمت العطيات، مديرة مركز الأيتام بالسلط، تموز 2013.
- 9- ساحة عقبة بن نافع بالسلط...من الاهمال الى التدمير، 12-3-2012، موقع أبناء البلقاء الاخباري.
- 10- ويكيبيديا – التراث الحديث Docomomo
- 11- د جلييلة القاضي مديرة ابحاث معهد التنمية الفرنسي- "مدن وأحياء نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين في جنوب حوض البحر المتوسط: تراث لمن ولماذا؟"، 2006، في المؤتمر الرابع لهيئة المعماريين العرب: حلب بين التراث والمعاصرة، 14-2006/16، ص 137.
- 12- الشوملي، ميساء، أثر مشاريع تطوير مراكز المدن التراثية على المجتمعات المحلية- مشروع تطوير منطقة عقبة بن نافع / السلط نموذجاً، سبتمبر 2014، في، مجلة العلوم الهندسية – جامعة أسبوط، العدد 42، ص 1317-1335.

المراجع الإنجليزية:

- 12 Normandin, Kyle, and Susan Macdonald, , March 6-7, 2013, "A Colloquium to Advance the Practice of Conserving Modern Heritage", The Getty Center, Los Angeles, California.
- 13 CONSERVATION PERSPECTIVES, spring 2013, Conserving Modern Architecture, THE GCI NEWSLETTER, volume 28 • number 1.
- 14 Prudon, Theodore, 2008, Preservation of Modern Architecture, Wiley. the winner of the Association for Preservation Technology Lee Nelson Book Award.
- 15 <http://www.walesonline.co.uk/news/wales-news/protect-modern-buildings-2094815>
- 16 <http://www.alrainews.net/more.php?newsid=5556&catid=2>